



تقدم الكاتبة والمترجمة الفلسطينية غدير أبو سنية في كتابها "إخوتي المزينون بالريش" مشاهدات وحكايات عن تجربة الحياة في بلدان أمريكا الوسطى ك نيكاراغوا، كوبا، المكسيك، هندوراس، كوستاريكا، السلفادور، وغواتيمالا. وينتهي الكتاب بملحق مقابلات مع كُتاب وشعراء لاتينيين من أصول عربية.

تلقت أبو سنية في هذا الكتاب (نال جائزة ابن بطوطة لليوميات العام 2016)، إلى أن الجالية الفلسطينية هي الأكبر في نيكاراغوا إلا أن الوجود العربي قليل أساساً وخصوصاً إذا ما قارناه بالدول المجاورة، لكن الحرب التي قامت بين الجبهة الساندينية من جهة والزلازل الذي ضرب مناغوا في سبعينيات القرن الماضي من جهة أخرى. جعلاً كثيراً من المهاجرين يغادرون نيكاراغوا إلى أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية، وهكذا ظل العدد محدوداً إلى اليوم. في نيكاراغوا يقال أن عدد المهاجرين من الأجيال الثانية والثالثة والرابعة يبلغ خمسة آلاف شخص، لكن الجالية العربية لا يتجاوز عددها الـ 300 ، مضافاً إليها بعض العائلات الليبية التي تعمل في السفارة الليبية.

تقول غدير أبو سنية أنها في يوليو 2004، وصلت نيكاراغوا، وهنا كانت المرة الأولى التي ترى فيها مطراً يسقط في أجواء حارة. أيضاً في هذه السنة أصيبت بمرض يسمى "دينجي" يسببه البعوض. وعلاج هذا المرض يكون بالإكثار من شرب السوائل، لأن الفايروس يخرج من الجسم عن طريق سوائله من بول وعرق، وتقول: "أصبت بهذا المرض ثلاث مرات، آخرها كان أخطرها، حيث كان من الدرجة التي تسبب نزيفاً في الجسد. بقيت في المشفى لثمانية أيام، وكان من أصيب بهذه الدرجة من المرض في نيكاراغوا، عشرين شخصاً كنت أحدهم، وتوفى من العشرين اثنان".

غدير التي لم تتعد على درجة حرارة بلد رغم مرور 11 عاماً على الإقامة به، تصف سكانه بالبساطة والطيبة وأنهم يحبون الغرب ويحتضنونه، ويقدمون له أفضل ما عندهم، ما مكن الأوروبي من سلب خيراتهم ببساطة، أيضاً مكن المهاجرين اللاحقين من أوروبيين وعرب من خلق وطن جديد لهم.



ثلاث نساء

أوضحت غدير أبو سنيينة أن المهاجر العربي عانى كثيراً في هذه البلاد البعيدة، فقد عمل أبناء الجالية بالتجارة وكانوا أول من افتتح محلات لبيع الأقمشة في العاصمة مناغوا. ولفنت إلى أن خلال إقامتها الأولى في مناغوا، كان التلفزيون يث مسلسلاً برازيليّاً يتحدث عن علاقة برازيلي بفتاة مغربية، وكيف كادت أن تقتلها عائلتها بسبب تلك العلاقة، وبحسب الكاتبة فقد حظي المسلسل بنسبة مشاهدة مرتفعة، وكان بمثابة النافذة التي يطل منها النيكاراغويون على العالم العربي، الذي حدث أن النساء أصبحن يواجهن أسئلة من قبيل: هل تعيشين مع ثلاث نساء؟



يظن الناس في نيكاراغوا أن المرأة العربية تضع الحجاب بسبب مرض في فروة الرأس أو أن تكون راهبة. ويعود الفضل لذلك المسلسل البرازيلي إذ انتبهوا أن الحجاب شكل من أشكال الهوية الإسلامية، وأن المرأة تستطيع خلعه في بيتها.

وترجع أبو سنية أن السبب في الجهل بالثقافة العربية في نيكاراغوا يعود إلى قوقعة الجالية العربية على نفسها وإهمالها إظهار ثقافتها، إذا كان هدف المهاجرين هو البحث عن حياة كريمة.

عيد الأموات

حملت غدير أبو سنية في كتابها على الرحالة كريستوفر كولومبوس خطأ تسمية النيكاراغويين بـ الهنود الحمر، فقالت: "في هذا الكتاب سأعلن صراحة أن النيكاراغوي هو الشخص الذي يستحم يومياً بمجرد أن يستيقظ، وهو الذي يستخدم مزيل رائحة العرق قبل خروجه من المنزل، وهو الذي يقلم أظافره باستمرار، وهو الذي يستأذنك في تقبيله، وهو الشخص الذي إن كان عتالاً في مستودع، ارتدى قميصه بالعكس لكي يبدو القميص نظيفاً حين عودته إلى بيته ومشيه في الشارع".

لا أسرار في نيكاراغوا، فالناس يتناقلون ما يجري من أحداث بسرعة البرق. ويحيلون ما يحدث معهم إلى السحر. ويعد طبق "غايو بينتو" وهو عبارة عن أرز وفاصوليا حمراء وبصل، الطبق الرئيسي الذي من الممكن أن يتناوله النيكاراغويون في وجباتهم الثلاثة. أما الطبق المنتشر في كثير من بلدان القارة هو "إيقاظ الأموات"، عبارة عن حساء مكون من قطع حيوان زاحف هو "الحدرون"، وخضار وتوابل، يتناوله الناس صباحاً. وليس غريباً أن تشم خلال زيارة صباحية للسوق الشعبي رائحة شوي لحم أو دجاج، إذ يعتبر اللحم أحد عناصر الإفطار الأساسية بالنسبة لأصحاب الحرف التي تتطلب جهداً جسدياً.

تقول أبو سنية في عيد الأموات وهو احتفال يقام يومي الأول والثاني من نوفمبر، يتم فيه التقرب من الأموات

مشاهدات

والاحتفاء معهم بالحياة. في عيد الموتى ليس للحزن مكان، يتبع الناس طقوساً معينة تتمثل بتزيين المقابر والأضرحة بالورود وإشعال الشموع والتعلق حول قبر الميت. توزع الحلويات والساكر على الأطفال الذين يجدون في هذا اليوم فرصة للفرح وبكبرون وفي رأسهم فكرة ممتعة عن الموت.

وفي المكسيك، يتجه السكان المحليون إلى المقابر، يزينونها، يستخدمين زهور السيمبازوتشيتلي، برتقالية اللون. وفي كل بيت ينصبون مذبحاً يضعون به صور من غادروا الحياة، ويحيطونه بالأطعمة والمشروبات لأنهم يعتقدون أن أمواتهم سوف يأتون ليلاً ليشموا روائح طعامهم وشرابهم المفضل في حياتهم الدنيوية.





غدير أبو سنية: مشاهدات فلسطينية في نيكاراغوا

الكاتب: خلود الفلاح